الدفن قبل الوفاة

وكيف يحلاف ذلك

لا شيءٌ تنقبض منهُ نفسك ويقشعرُّ منهُ بدنك مثل ان يقال لك ان فلاناً حُسب ميتاً وهو لم يمت ودفن وهو في قيد الحياة . واذا خطر لك حينئذٍ انهُ قد يصيبك ما اصابهُ ارتعتَ من ذلك وقلقت اشد القلق - واي بليَّة اشد على المرء من ان يستيقظ فيجد نفسهُ في تابوت ضيق تحت التراب يحاول التخلُّص من اكفانهِ الى ان تخمد انفاسهُ وقد لا يفيق الاَّ بضع دقائق ثم يقضي عليهِ ولكن هول تلك الدقائق لا يضاهيهِ هولٌ

وهل يحسُن ان يخطئ الناس علامات الموت فيحكموا بموت من لم يزل حيًّا . وهل ذلك كثير الوقوع او هو نادر جدًّا لا يقع مرةً في الدهر . وان كان واقعاً فما الادلة على وقوعهِ لان من يدفن لا ينهض فيخبر بما جرى لهُ . والجواب ان دفن الاحياء خطأٌ قليل ولكنهُ غير نادر وما قلتُهُ الاَّ بالنسبة الى كثرة عدد الوفيات . والادلة على وقوعهِ كثيرة وقد نشرنا مقالة مسهبة في هذا الموضوع للدكتور امين ابي خاطر منذ ٢٨ سنة ورأينا الآن مقالة في موضوعها جمعت فاوعت واشدت في بحثها الى هذا العام فاقتطفنا منها ما يأتي لاننا نجد الناس في هذا العصر يسرعون في دفن موتاهم اسراعاً لا مسوّغ لهُ ولا يؤمن معهُ ان يدفن كثيرون منهم وهم في قيد الحياة

قال الكاتب ان افلاطون الحكيم اشار منذ الفين وثلثمئة سنة بان لا يدفن الموتى قبل اليوم الثالث لئلاَّ تكون الحياة كامنة فيهم . وذكر بلينيوس بعد ذلك بخمسة قرون ان اناساً كثيرين حسبوا اموواتاً ثم افاقوا . وقال ان هذا شأن الناس فيخطئون حتى في حكمهم على الموت

ويظهر من التاريخ ان قدماء المصريين كانوا يراقبون اجساد موتاهم اياماً عديدة قبلما يشرعون في تحنيطها وان قدماء اليونانيين كانوا يتفحصون جسد الميت على اساليب شتى حتى يتحققوا موتهُ قبلما يحرقونهُ بل انهم كانوا يقطعون اصبعاً من اصابعهِ لكي يثبت لهم موتهُ . وكان الرومانيون يحسبون التسرُّع في دفن الموتى جناية فكانوا يبقون الميت بضعة ايام من غير دفن ويغسلون جسمهُ في الماء الحار او يغسلونهُ بماء يكاد يكون غالياً حتى اذا كان فيهِ اثر للحياة ظهر . قال كونتليانوس المؤلف الروماني الذي نشأ في القرن الاول المسيحي ان الرومانيين كانوا يؤخرون دفن موتاهم لانهم رأوا البعض منهم عادوا الى الحياة قبلما دفنوا

وقال لشيمي العالم الايطالي ان الشرائع منعت الاسراع في دفن الموتى ولا سيما الذين يموتون فجأةً ولقد احسنت في ذلك واتبعت جادّة الحكمة

والآن يتبين الثقات ان تشتيق الموت من انصاب قال الاستاذ هكسلي انهُ يصعب جدًّا ان نعرف العلامة التي تدلنا على الموت الحقيقي [illegible] وقال السر هنري ثمسن ان العلامة الوحيدة التي يثبت بها الموت هي ظهور علامات الفساد (الانحلال) في الجسم او في الاعضاء الرئيسة وهذا رأي كثيرين غيرهم من كبار الاطباء. وقال الدكتور توماس هدن "ان غيبوبة الموت او الغيبوبة التي تشبه الموت تستحق ان ينتبه اليها اكثر مما ينتبه عادةً لكونها مرضيةً وكسبب لدفن الناس وهم في قيد الحياة لانهُ لا يمكننا ان نرتاب في وجود غيبوبة الموت ولا شبهة في ان البعض دُفنوا بها وهم احياء الاّ اذا انكرنا كل الاخبار الموثوق بها لمجرد كونها غير منطبقة على اختبارنا او على آرائنا واميالنا"

ولقد بحث بعض الكتاب في هذا الموضوع بالاسهاب التام منذ سبع واربعين سنة واهتمت البلدان الالمانية باستخدام الوسائل التي تمنع دفن الاحياء وانشأت منذ سنة ١٧٩٥ دورًا توضع فيها اجساد الموتى بضعة ايام الى ان يثبت موتها ثبوتًا ينفي كل ريب او تعود الى الحياة كما سيجيء . وذلك بعد ان ثبت من بحث الاطباء في المانيا وفرنسا والنمسا ان علامات الموت الظاهرة لا تكفي للدلالة عليهِ

ثم ذكر الكاتب امثلة كثيرة تدلُّ على دفن الناس وهم في قيد الحياة من ذلك ان الدكتور فرنز هازمن بحث عن الذين دفنوا وهم لا يزالون احياء فعثر على اسماء سبع مئة منهم والّف كتابًا في هذا الموضوع ومن الذين ذكرهم فيهِ الممثلة راخيل المشهورة فقال انها حسبت ميتة واخذ الاطباء يحنطونها فافاقت بين ايديهم لكنها ماتت بعد عشر ساعات ممّا اصابها من عملية التحنيط . وذكر ايضا ان مديرًا من مديري البريد مات بنوبة صرع او حسب ميتًا ودفن ثم اريد توسيع الكنيسة التي دفن فيها ففتح قبرهُ واذا فيهِ الادلّة على انهُ دفن وهو حي ورأى ذلك الطبيب الذي قال انهُ مات بجنٍّ من الاسف

وكتب الدكتور ايكار مقالة في الجريدة الطبيّة (برس مديكال) في ١٧ اغسطس سنة ١٩٠٤ ذكر فيها ١٢ شخصًا ظُن انهم ماتوا ثم ظهر انهم لم يزالوا احياء ومنهم شخص صلي عليهِ امام الاطباء الذين شهدوا بموته وكان منهم الدكتور بوساكس استاذ الفسيولوجيا في مدرسة ايينا الجامعة . وذكر ولدًا توفي في الصباح في ١٣ يونيو سنة ١٩٠٣ واتي بهِ الى دار الموتى في المساء وفحصهُ الطبيب وأكّد انهُ ميت ولكنهُ لم يقم في دار الموتى ساعة حتى افاق فردّ الى امهِ

وتوفيت امرأة سنة ١٩٠٥ وعمرها ٢٨ سنة وكتب طبيبها شهادة الموت وجعل ذووها يعدون لوازم دفنها ولما كانوا يقيسون جسمها لاختيار التابوت رأوا حركة في جفنيها فلجت من الدفن حيةً . وذكرت جريدة الديلي تلغراف في ٧ يناير هذه السنة ان ولداً عملت فيه عملية جراحية فظهر انهُ مات وقال طبيب الصحة انهُ لم يتنفس مدة عشرين دقيقة لكنهُ افاق بعد ذلك . وآخر ما ذكر من هذا القبيل ان امرأة اسمها مسز ريز حُسبت ميتة في ١٤ سبتمبر الماضي وكادت تدفن . وجاء في الغازت في ١٥ اكتوبر الجاري ان ابنة دفنت في شبين الكوم اعتقاداً انها ميتة وحالما انهال التراب على تابوتها صرخت وأُنقذت

ومما يذكر في هذا الصدد الحوادث الثلاث التي ذكرها الدكتور ابو خاطر في مقالتهِ المشار اليها آنفاً " الاولى ان رجلاً فلاحاً ليس لهُ عائلة مات في بيت حقير وما لبث ان برد جسمهُ حتى نقلوهُ من مكانهِ ووضعوهُ على فراش من القش واستأجروا عجوزاً تحافظ عليهِ واشعلوا شمعة ووضعوها بقرب رجليهِ وفي الليل غلب على العجوز النعاس فنامت واستغرقت في النوم ولم يمضِ قليل حتى استفاقت مذعورةً ووجدت نفسها محاطة باللهيب فخافت وصرخت فجاء الجيران اليها ووجدوا شبحاً معرّى في وسط اللهيب يجر نفسهُ على رجليهِ واذا هو الميت خارج من اللهيب وقد احترق معظم فخذيهِ فاسرعوا لنجاتهِ ومداواتهِ فشفي . واما سبب ذلك فهو ان شرارة طارت على فراش القش مدة نوم العجوز فحرقتهُ وافاقت الميت

"والثانية ان امرأة ماتت بالظاهر في حال مخاضها فدعي اليها طبيب ليعمل العملية القيصرية لعلهُ بذلك ينجي حياة الجنين فحضر واثبت رأي الحاضرين بموتها لانهُ لم يرَ اثراً للنبض ولا علامة للتنفس عند وضع المرآة امام الانف والفم ولم يكشف ضربات القلب بالاستقصاء ولذلك حكم بوجوب العملية ولما ابتدأ واعمل سكينهُ في البطن افاقت المرأة وصرخت ثم ماتت

"والثالثة ان رجلاً كان مصاباً بمرض مزمن من جملة اعراضهِ المزعجة قلق متواصل سلب راحتهُ وجعلهُ يئس من حالتهِ استشار طبيباً فوصف لهُ الافيون وامرهُ باستعمالهِ بالاحتراس اللازم ولكن المريض كان يجهل خاصة الدواء فاخذ منهُ دفعة واحدة ما كان ينبغي ان يأخذهُ في دفعات كثيرة فاستغرق حالاً في نوم عميق ولم يفق منهُ بعد ٢٤ ساعة فاحضروا اليهِ طبيب البلدة فوجد النبض منقطعاً وحرارة الجلد مفقودة فنفصدهُ في ساعديهِ فلم يخرج الاَّ نقطات من الدم الغليظ وفي الغد دُفن . ثم بعد بضعة ايام عرفوا انهُ اكثر جرعة الافيون وان ذلك كان سبب موتهِ فاسرعوا لمشاهدتهِ في القبر واذا بمنظر هائل ترتعد منهُ الفرائص وذلك ان الوريدين اللذين فتحهما الطبيب جرى الدم منهما بغزارة وملأ جوف التابوت

وعاد ليت الى الحياة وحاول النجاة من المقبرة فلم يقدر وقضى نحبه في ذلك السجن الضيق وكانت هيئته كئيبة مرعبة يرثى لمنظرها الجلمود"

وفي الجرائد الطبية وجريدة داني الموتى الانكليزية امثلة كثيرة من هذا القبيل . ويقال عن ثقة ان الدين يوضعون في دور الموتى بفرنسا يفيق منهم واحد من كل ثلثمئة . وذكر الدكتور تب في النطبعة الاخيرة من كتابه عن "الدفن قبل الوفاة" ٢١٩ شخصاً كادوا يدفنون وهم في قيد الحياة و١٤٩ دفنوا احياء و١٠ حسبوا موتى وشرّحوا وهم احياء

ولقد كان الناس عموماً حتى الاطباء يعدون المرء ميتاً اذا انقطع نفسهُ بضع دقائق . ولا يزال بعضهم يفعل ذلك حتى الآن . ولكن ثلاثين نوعاً من الامراض تصحبها اعراض مثل اعراض الموت تماماً تخفى على امهر الاطباء كالغيبوبة والتيفس (كتالبسيا) والمستيريا والطوريا والاستهواء عدا عوارض كثيرة تعرض للانسان ويظهر كأنها قضت عليهِ مثل وقوع الصواعق وضربة الشمس والتبنج بالكلوروفورم والاختناق بالغازات والتفحم بالافيون والنزق والانصراع بالكهربائية والانطار تحت الثلج او تحت التراب او الحبوب في الاهراء والاختناق والاعياء العصبي والاغماء والبرد الشديد والحر الشديد والسكر والنزف وتوقف الافعال الحيوية بمرض عصبي والرُّعب والتهيج الشديد ونوب السكتة وما اشبه

والمقرر عند الثقات من الاطباء ان الموت لا يأتي فجأة بل هو فعل بطيء ينتقل بهِ الجسم من الحياة الى الموت انتقالاً فكل موت فجائي مظنة ان المرء لم يمت ولكن توقفت الافعال الحيوية فيهِ توقفاً يزول بعد حين الاَّ اذا تقدعضوٌ رئيسي فعلهُ فجأة وهذا لا يُعلم الاَّ بعد فتح الرمة اما النواميس الطبيعية تتقي الموت الفجائي

وقد رأى الاطباء الذين بحثوا في ما يسمّى بتوقف الافعال الحيوية ان الذين يشتغلون اشتغالاً تنهك اعصابهم قبلما تسترد قوتها ويلجأون الى المنبهات او المخدرات لازالة ما يشعرون بهِ من خوار القوى هؤلاء يكثر فيهم توقف القوى الحيوية او الموت الظاهر . وكذلك يكثر الموت الظاهر بين الفقراء الذين تقلُّ تغذيتهم ولا تعود اليهم علامات الحياة الاَّ بعد ستة ايام او سبعة . وقال الدكتور غورس ان الضعف العصبي يُعدُّ الانسان للموت الظاهر ثم اذا اصابهُ فعل نفساني شديد التأثير كالانفعال الديني او الرعب الفجائي او ضربة على الرأس او على الظهر كان ذلك سبباً لظهور هذا الموت

وكثيراً ما يصاب الانسان بتشنج عصبي فيبس جسمهُ ولا يعود يتحرّك ولا يعود يتنفس حسب الظاهر ويبقى كذلك اياماً . وقد دفن كثيرون وهم في هذه الحالة اعتقاداً انهم ماتوا

ذكر الدكتور غريدنر استاذ الطب في مدرسة تلاسكو الجامعة حادثة مثل هذه دامت الغيبوبة فيها ٢٣ اسبوعاً (انظر جريدة اللانست الصادر في ٢٢ دسمبر سنة ١٨٨٣ صفحة ١٠٧٨ — ١٠٨٠)

وكثيرون من المشاهير كانوا يصابون بنوب اغماء تدوم اياماً فقد ذكر فنزجرلد سولي ان دورانلي كان يصاب بنوب الاغماء في صغره وأُغمي عليه مرة وبقي في حالة الغيبوبة اسبوعاً كاملاً ويقال ان الكردينال سبنوزا والكردينال مومفليا أُغمي عليهما لحب ميتين وشرع في تحنيطهما وهما في قيد الحياة

والمشهور ان تيبس العضلات من ادل علامات الموت ولكن الدكتور صموئيل بارکر يراث انكر ذلك وقال ان هذا التيبس من نوع انقباض العضلات الذي يصيب الاحياء وقال الدكتور ثشوان تيبس العضلات قلما يحدث في البلدان الحارة كالهند وكتب الدكتور ده لابوردا الى سكرتير جمعية فوارب تحليص الغرقى ان تقلّص العكين ليس دليلاً قاطعاً على الموت لان كثيرين ظهر فيهم هذا الامر ثم ردّوا الى الحياة . ووافق الدكتور برون سيكار الشهير على ذلك

ومن علامات الموت التي حُسبت قاطعة فظهر فسادها الآن الاستدلال باغشية اليد وذلك ان تبسط راحة اليد بين عين الناظر وقنديل ساطع النور حتى تكون الاصابع متماسّة فاذا ظهر خط قرمزي حول الاصابع فالشخص لا يزال حيّاً والاّ فلا . وقد سُرّت الاكادمية الفرنسويّة بهذه العلامة حتى وعدت ان تثيب مكتشفها ولكن السريانيين ورد رئشردسن اتحنها مراراً كثيرة فوجدها ثانوية لا يعوّل عليها وحدها وايّد غيرهُ من الاطباء قولهُ

وبعد ان اطال الكاتب في هذا الموضوع وصل الى النهاية التي قصدها وهي ان تنشأ دور توضع فيها اجساد الموتى اياماً الى ان يتيقنوا ان كانوا لا يزالون احياء او يدب فيهم الفساد ان كانوا قد ماتوا حقيقةً . وهذه الدور شائعة الآن في مونخ وفرنكفورت وويمر وستتغرت وبرلين من المدن الالمانية وفي فينا وغيرها من المدن النمسوية واول دار من هذه الدور انشئت في ويمر سنة ١٧٩٠ . وفي مدينة مونخ الآن عشر من هذه الدور تنتقل اجساد الموتى اليها وتبقى فيها تحت مراقبة الاطباء الاكفاء ويوضع كل جسد على مائدة بثيابه العادية وتكون الغرفة معتدلة الحرارة مطلقة الهواء كثيرة النور ويوصل باصابع جرس كهربائي فيدق عند اقل حركة تبدو منهُ ويترك في وضعهِ هذا يومين او ثلاثة ما لم تبدُ عليهِ علامات البلى قبل ذلك ولا يؤذن بدفنهِ ما لم يرهُ الطبيب ويخبر ذلك

هذا ومن المعلوم ان اكثر موتانا يدفنون يوم وفاتهم . وواضح مما تقدم انهُ يحسُن ان البعض منهم لا يكونون قد ماتوا حقيقةً فيدفنون وهم في قيد الحياة واطباؤنا ليسوا امهر من اطباء الاوربيين في الاستدلال على الموت افلا تنفي الحكمة والشفقة ان نجاري الاوربيين في اقامة دور يوضع فيها الذين يشتبه في موتهم حتى اذا كانت الحياة لا تزال كامنة فيهم تظهر قبل ان يواروا الثرى ويقطع الرجاء منهم

علوم اليونان وآدابهم

لا ينكر الاوربيون على اليونان انهم مصدر علومهم وفنونهم وان اليهم تنتهي حضارتهم الا ان في ذلك نظرًا حدس به بعض الباحثين من ان اليونان انفسهم اخذوا حضارتهم عن الامم الشرقية من مصريين واشوريين وفينيقيين على ان ذلك القول لا يقدح بالمكانة التي ادركوها لان مضاء عقولهم وذكاء نفوسهم حتَّما انتهى اليهم من سابقيهم وصيغاهُ بصبغتهم اليونانية فزادوا فيهِ من عندياتهم اشياء صيَّرت جرثومة الاصل في حكم الخفيّ عن الانظار ثم اتصل منهم شيءٌ بالامتين الرومانية فالعربيَّة ومنهما باوربا حتى اذا اثار ذلك الشيء بعض عقول ساكنيها طلبت المزيد فتوافت لاحرازهِ والتوسع فيهِ حتى رمحت اقدام الحضارة العصريَّة

ولقد مرَّ على الامة اليونانيَّة زمن جاهليَّة سرحت فيهِ قبائل البلاسجيين في الاقطار اليونانية بعد ان بلغوها من الشرق منبت اصلهم اذ هم من الآريين الذين هاجروا الى اوربا في اقدم العصور فاحتلَّ فريقٌ منهم بلاد اليونان ونزل فريق آخر ايطاليا وذلك حوالي القرن العشرين قبل المسيح

ولا تعلم حالهم يومئذٍ لخلو التاريخ من نبإ صريح عن شؤونهم وانما يظن انهم بلغوا منازلهم بعد ان خرجوا من حال الفطرة الساذجة بل ربما كانوا قد حملوا من مواطنهم الاولى شيئًا من معرفة شؤون الحياة والاجتماع يدلُّ على ذلك اعتمادهم بحرث الارض واستغلالها وبناؤهم المدن وحياطتها بالاسوار وقيام الحكومة المنظمة فيهم واشتراع السنن والقوانين مما لا يتأتى للفطريين الا وقد تجاوزوا العصبيَّة . على انهم لم يكونوا يحظرون على انفسهم مخالطة الناس والانتفاع بما عندهم من الحضارة يدل على ذلك تقدمهم في شؤون الحياة تدريجًا بما اخذوهُ عن غيرهم وما خلقت لهم عقولهم من ايجاد ما يحتاجون اليهِ . على ان اخذهم عن الغرباء مستفيض الرواية في التاريخ ومؤيد بالقدم التقليد عهدًا اذ يقال انهُ جاءهم اقوام من المصريين